

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم
بين الاسمية والمصدرية
أ.عزيزة سلولة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة
الملخص:

يظهر المقال صيغة "فَعَالٍ" المصدرية التي يقل استعمالها في كلام العرب، ولم يرد منها أمثلة في القرآن الكريم إلا فيما شذ من القراءات، كقراءة الأعمش (ت 148 هـ):
"قَالَ فَ281 ذُهِبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مَسَاسَ" طه/ك/97. و"لَا مَسَاسَ" هي الكلمة الوحيدة التي جاءت مفتوحة الميم مكسورة السين، معدولة عن الْمَسَّةِ، اسما علما على مصدر معرفة مسبقة بـ"لَا" النافية للجنس، وهي لا تنماز عن القراءة المشهورة إلا في إفادتها معنى المبالغة والتوكيد، كما تُعد "فَعَالٍ" على اشتراك الصيغ الصرفية في أداء المعنى الواحد، كما هو ملاحظ في "مَسَاسٍ" و"مَسَاسٍ".

Abstract:

Words that Come Under the Formula of « FAÀLI » in the Holy Quran

This report shows the source formula « FAÀLI » which is less used in the Arabic language, and there is no example in the holy Quran except in The Shaadh (Irregular) Readings, as in the reading of EI-AAMECHE (died in 148 h) to the holy verse : « قَالَ فَ281 ذُهِبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مَسَاسَ » « **Begone! Your lot in this life is to cry: "untouchable!" ' said he (Moses).** » Taha (97), so the word « la massas » is the unique word that comes « Maftouhat El Mim and Maksourat El Sine », another form of « Elmassa » (touch), a proper noun that indicates a source definite noun preceded by « La El-Nafia Li El-Jins » (article of negation), however, this reading does not differ from the famous one except in providing the meaning of exaggeration and emphasis.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

لقد عني النحاة واللغويون بالأبنية منذ بداية التأليف وكتبوا فيها رسائل ومعجمات،
عرفت - فيما بعد - بمعجمات الأبنية¹.

عالج بعضها الأبنية عموماً، واختص بعضها الآخر بأبنية الأسماء، أو أبنية الأفعال،
أو أبنية المصادر، أو أبنية المصادر في القرآن الكريم، وتفيد المصادر اللغوية² بأن كثيراً من
المؤلفات التي عالجت أبنية المصادر (عامّة)، أو أبنية المصادر في القرآن الكريم لم تصل إلينا.
ومن المؤلفات التي وصلت إلينا وضمنت أبواباً في بعض الأبنية ومعانيها نذكر على
سبيل المثال: "ديوان الأدب" للفارابي المتوفى سنة 350هـ، وكتاب "ليس في كلام العرب"
لابن خالويه المتوفى سنة 370هـ، ومن الكتب التي اقتصت بأبنية الأسماء والأفعال "كتاب
الأسماء والأفعال والحروف" لأبي بكر الزبيدي المتوفى سنة 379هـ، وكتاب "أبنية الأسماء
والأفعال والمصادر" لابن القطاع المتوفى سنة 515هـ.

كما عنت بعض الكتب رأساً بالصيغ المفردة ككتب الصاغاني المتوفى سنة 650هـ
وهي: كتاب "يَفْعُول"، وكتاب "نَفْعَةُ الصَّدْيَانِ فِيْمَا جَاءَ عَلَى الْفَعْلَانِ مِنَ الْمَصَادِرِ"،
حيث ساق المؤلف أكثر من مائتي (200) مصدر مرتباً على حروف المعجم، وكذا كتاب:
"ما بنته العرب على فَعَالٍ" حيث أحصى فيه صاحبه مئة وثلاثين كلمة محصورة بين اسم
الفعل، والصفة، واسم العلم واسم المصدر.

وهذا التدرج في التأليف يدل دلالة بيّنة على أنّ البحث في الأبنية العربية لم يكن
جديداً، وإنما يرجع إلى المراحل الأولى من بداية التأليف، ولا يزال متواصلاً إلى يومنا هذا،
إذ نجد من النحاة المحدثين من كتب في الموضوع وأفرد له دراسات متخصصة كخديجة
الحديثي، وكتابها "أبنية الصرف في كتاب سيبويه" (معجم ودراسة) سنة 1965م وفاضل
صالح السامرائي، وكتابه "معاني الأبنية العربية" سنة 1981م، و: "وسمية عبد المحسن

¹ - أحمد الشرقاوي إقبال، معجم المعاجم، الطبعة الأولى، سنة 1407هـ-1987م، دار الغرب الإسلامي،
بيروت، لبنان، ص363.

² - المرجع نفسه وانظر حسين نصار المعجم العربي نشأته وتطوره ط4 1408 هـ - 1988م-ج1

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

المنصور" ورسالتها المعنونة بـ"أبنية المصدر في الشعر الجاهلي" سنة 1984م، و: أحمد مختار عمر وكتابه: "معجم الأبنية في اللغة العربية" 1995م، وغيرها من التأليف التي يطول سردها وأنا هنا لست في مقام تتبع ما ألف في هذا الباب، وإنما أردت أن أقول: إن اعتناء هؤلاء النحاة بالأبنية (الاسمية أو المصدرية) - وعلى الرغم مما قدموه من بحوث علمية - لم يستقصوا الأبنية جميعها سواء على مستوى المبنى أم على مستوى المعنى. إذ لا يزال موضوع الأبنية يحتاج إلى مزيد دراسة تكون أكثر دقة وشمولية، وخاصة ما يتعلق منها بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واستعمالهما المتميزة لكثير من الأبنية المتنوعة الصياغة والدلالة نحو بناء فَعَالٍ التي اختلف النحاة في تحديد نوعها فهي من الأسماء أم من الأفعال أم من المصادر وكذا تبيان علاقتها بصيغة فَعَالٍ وفعالِ المصروفتين؟ وهل من أمثلة جاءت على فَعَالٍ في القرآن الكريم؟ وما الفرق بينها وبين فعالٍ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات كان لزاما أن أرجع إلى بعض أمات الكتب، لأقف على ما قاله النحاة في باب "فَعَالٍ" وتمييزهم بينها وبين الصيغ الأخرى التي تشترك معها في الصيغة الصرفية ومفارقتها إياها في الدلالة.

أولا : فَعَالٍ عند النحاة: لقد ميز النحاة بين نوعين من بناء "فَعَالٍ" المفتوح الفاء، أحدهما: "فَعَالٍ" المصروفة تكون اسما كسَحَابٍ، وجمعا كنبَاتٍ، وصفة كجَبَانٍ، ومصدرا كذَهَابٍ وَسَمَاعٍ. يقول المبرد: «... وضرب على وجهه فذلك الضرب هو ما كان مذكرا أو مؤنثا غير مشتق، ويجمع ذلك أن تكون مما أصله النكرة، فأما المذكر فنحو قولك: رَبَابٌ، وَسَحَابٌ، وَجَمَالٌ، وأما المؤنث فنحو قولك: عَنَاقٍ، وَأَتَانٍ، وَصَنَاعٍ، فما كان من هذا مذكرا فمصروف، وما كان منه مؤنثا فغير مصروف في

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

المعرفة، ومصروف في النكرة لمذكر كان أو لمؤنث...³، والأخرى: "فَعَالٍ"⁴ - وهو موضوع مقالتنا- المختص بالمؤنث والذي لا يأتي إلا معرفة معدولاً⁵ عن جهته مبنياً، وهو على أربعة أضرب:

الضرب الأول: أن يكون اسم فعل أمر مبنياً على الكسر كنزال في قول زهير⁶:

³ - انظر: المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت285هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، ط2، 1415هـ-1994م، القاهرة، ج3، ص368.

⁴ - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت185هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط3، 1403هـ-1983م، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج4، ص41.

وانظر ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي ت643هـ)، شرح المفصل، تحقيق أحمد السيد، سيد أحمد، القاهرة، مصر، المكتبة التوفيقية، م2، ص210 و211.

وانظر السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين ت911هـ)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد الجاوي، ط1408هـ-1987م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج2، ص131.

وانظر: الصاغانبي (رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن ت650هـ)، "ما بنته العرب على فعال"، تحقيق: عزة حسن، دمشق، 1383هـ-1964م، مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق، ص28.

وانظر المقتضب، ج3، ص368. وانظر ابن جني (أبو الفتح عثمان ت392هـ)، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، ج2، ص131.

⁵ - يقول المبرد (وأما ما كان معدولاً فمجره واحد في العدل وإن اختلفت أنواعه)، المقتضب، ج3، ص368.

⁶ - ديوان زهير بن أبي سلمى المزني، شرحه: حمدو طماس، ط2، 1426هـ-2005م، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص31. وانظر: الكتاب، ج2، ص34، وج3، ص271. وانظر المقتضب، ج3، ص370. وانظر: ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد ت577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ج2، ص91. [الهامش: نزال معدول عن المنازلة وهي مصدر الفعل الرباعي نازله ينازله منازلة، ومعناه انزل]. وانظر شرح المفصل، ج4، ص26، وص50، و52. وانظر: ما بنته العرب على فعال، ص28، وانظر: أبي عبيدة (معر بن المثنى ت210هـ)، مجاز القرآن، ص170.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدُّرِّعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيَتْ نَزَالٌ وَحُجِّي الدُّعْرِ.

ونَزَالٌ: اسمُ فِعْلٍ أَمْرٍ، بمعنى انزِلَ «وَأَعْلَمُ أَنَّ فَعَالٍ... يَطْرُدُ فِي النَّدَاءِ وَالْأَمْرِ»⁷.

على رأي سيبويه المتوفى سنة 175هـ ومن ذهب مذهبه من النحاة كابن الحاجب المتوفى سنة 646هـ الذي يقول: «وإنَّ فَعَالٍ بمعنى الأمر من الثلاثي قِيَّاسٌ كَنَزَالٍ بمعنى انزِلُ»⁸.

وعُدَّ بناء "فَعَالٍ" - عند بعضهم - في الأمر من الثلاثي مسموعا، فلا يقال "قَوَامٌ" و"قَعَادٍ" من "قُمٌ" و"اقْعُدْ" إذ ليس لأحد أن يتدع صيغة لم تقلها العرب⁹. وهذا خلاف رأي سيبويه الذي أجاز القياس، والسؤال: لماذا قُصِرَ بناء "فَعَالٍ" على الثلاثي المجرد؟

يقول الصَّاعِقِيُّ: «والسبب في بناء فَعَالٍ من الثلاثي فحسبُ هو أن هذا البناء يدل في أصله على تكثير الفعل لتوكيد الكلام»¹⁰، ولا يكون ذلك في الثلاثي المزيد إلا فيما شَدَّ "كَدْرَاكٍ" من أدركه، ولا يكون من الرباعي إلا فيما سُمِعَ وهو قليل، إذ عدّها بعضهم سبعة أَلْفُظٍ¹¹ وهي "هَمَّامٌ" و"حَمَّامٌ" و"مَحْمَاحٌ" و"مَجْبَاحٌ" يقال ذلك لنفاذ الشيء¹² و"عَرَعَارٍ"¹³ وهي لعبة للصبيان معدولة عن عَرَعَرَةٍ. "وَقَرَقَارٍ" وهي مأخوذة من القَرَقَرَةِ وهو صوت الرعد، و"دَهْدَاعٍ"، زَجْرٌ لِلْعُنُوقِ¹⁴، وعدّها ابن جني لغات¹⁵.

⁷ - الكتاب، ج3، ص280. وانظر ما بنته العرب على فعال، ص29.

⁸ - الرضي الاسترابادي، شرح الرضي على الكافية، تصحيح يوسف حسن عمر، ط2، 1996م، منشورات، جامعة قان يونس بنغازي، ج3، ص107.

⁹ - المصدر نفسه ص107.

¹⁰ - ما بنته العرب على فعال، ص28.

¹¹ - الأصغاني المرجع نفسه، ص100، و101، و102. وانظر الخصائص، ج3، ص30.

¹² - المزهري في علوم اللغة، ج2، ص133. وقال السيوطي في الكتاب نفسه والصفحة ذاتها «إن صاحب الجمهرة أضاف: يَغِيَاعُ: دعاء، وَيَهْيَاؤُ: كذلك، والحقيقة أن الأمر يحتاج إلى استقرار لهذه المفردات في المعجمات العربية للوقوف على العدد الذي جاء على فَعَالٍ».

¹³ - انظر: السيوطي، المزهري في علوم اللغة، ج2، ص110.

¹⁴ - العُنُوقُ: جَمْعُ عَنَاقٍ وهي الأنتى من أولاد المعزى إذا أتت عليها سنة.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيمة سلولة

ويصاغ اسم الفعل على "فَعَالٍ" من أضرب الثلاثي الثلاث بشرط التمام، ولا يكون من المزيد أو من الرباعي الأصيل إلا أن يُسْمَع، فَيَجَازَ، وَلَا يُجَاوِزَ.
«واعلم أن "فَعَالٍ" جائزة من كل ما كان على بناء "فَعَلٌ" أو "فَعِلٌ" أو "فَعُلٌ"، ولا يجوز من أَفْعَلْتُ، لأننا لم نسمعه من بنات الأربعة، إلا أن تسمع شيئاً فتجيزه فيما سمعت ولا تُجَاوِزُهُ، فمن ذلك "فَرَقَارٌ" ¹⁶ و"عَرَعَارٌ" ¹⁷ ¹⁸» .

وحكم هذه الأسماء البناء على الكسر، والسؤال: لماذا بنيت على الكسر، وما علة

بنائها؟

أما بناؤها على الكسر فللدلالة على المؤنث، لأنها تختص به، والكسر علامة التأنيث، أمّا عن علة بنائها فالجواب عند ابن جني الذي يقول: «فصواب القول في ذلك أنّ علة بناؤها إنما هي تضمنها معنى لام الأمر، ألا ترى صه بمعنى اسكُتْ، وأن أصل اسكُتْ، لَتَسْكُتْ، كما أنّ أصل قُمْ لَتَقُمْ ... فلما ضُمَّتْ هذه الأسماء معنى لام الأمر شابهت الحرف فبنيت، كما أنّ كَيْفَ "و" مَنْ" ... لما تضمن كل واحد منها معنى حرف الاستفهام بُي، وكذلك بقية الباب» ¹⁹ .

و"فَعَالٍ" ليس بفعل وإنما هو اسم في معنى الفعل ولذلك لم يضمروا فيه الاثنتين والجميع والمرأة، فإذا أردت الأمر منه جئت به على أمر الرجل الواحد ولا يكون ما بعده إلا

¹⁵ - الخصائص ج3 ص30

¹⁶ - فَرَقَارٌ: معدول عن القَرَقَرَةِ وهو مصدر الفعل الرباعي أو الثنائي المكرر (المضاعف) «... فَرَقَرَ الحَمَامُ، فَرَقَرَهُ، وَقَرَقِرًا. والقَرَقَرَةُ: أحسن الهدير وأيضاً حكاية الضحك... أو غيره». انظر ابن القطاع (أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي ت513هـ)، كتاب الأفعال ضبطه إبراهيم شمس الدين، ط1، 1424هـ-2002م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص421.

¹⁷ - عَرَعَارٌ: اختلاط أصواتهم، المرجع نفسه.

¹⁸ - الكتاب، ج3، ص280. وانظر شرح المفصل، ج2، ص209.

¹⁹ - الخصائص، ج3، ص34. وانظر شرح المفصل، ج2، ص206.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

منصوبا²⁰ والسؤال: هل اسم فعل الأمر مع منصوبه يمثل جملة؟، وإذا كان كذلك فما نوعها؟

نخلص إلى أن "فَعَالٍ" يكون من الثلاثي المجرد التام مقيسا لكثرتة ومن غيره مسموعا لقلته، هذا على رأي سيبويه ومن ذهب مذهبه، وإن كان بعضهم يرى بأن يُقْتَصَر فيه على السماع؛ أي في الثلاثي وفي غير الثلاثي قَلَّ أو كَثُرَ، والأجود عندي ما ذهب إليه سيبويه لأن القياس يُسَهِّمُ في تطور اللغة وازدهارها وحصرها، إذ لا يمكن لأحد* أن يحيط باللغة مَهْمًا أوتي من مقدرة وقوة حافظة.

الضرب الثاني: أن يكون "فَعَالٍ" اسما لمصدر علما عليه وهو كما قيل مصدر معرفة مؤنث، يقول الزمخشري: «والتي في معنى المصدر المعرفة كَفَجَارِ "لِلْفَجْرَةِ"، وَيَسَارٍ لِلْمَيْسِرَةِ، وَجَمَادٍ لِلْجُمُودِ، وَحَمَادٍ لِلْمَحْمَدَةِ وهذه لا تُبْنَى إلا أن يجتمع فيها ما اجتمع في "نَزَالٍ" من التعريف والتأنيث والعدل فهي محمولة عليه في البناء، وهذا مذهب سيبويه»²¹.

ويقول سيبويه: «ومما جاء اسما للمصدر قول الشاعر النابغة:

إِنَّا افْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فَجَارِ²²

فَفَجَارٍ: اسم الفَجْرَةِ. وقال الشاعر:

فَقَالَ امْكُثِّي حَتَّى يَسَارَ لَعَلَّنَا نَحْجُجُ مَعًا قَالَتْ: أَعَامًا وَقَابِلَهُ²³.

فهي معدولة عن المَيْسِرَةِ، وأَجْرِي هذا الباب مَجْرَى الذي قبله لأنه عُذِلَ كما عُذِلَ، ولأنه مؤنث بمنزلته»²⁴.

²⁰ - الكتاب، ح3، ص280، ج2، ص242.

* (لا يحيط باللغة إلا نبي).

²¹ - ابن يعيش، شرح المفصل، ج4، ص53. وانظر الكتاب، ج3، ص274.

²² - ديوان النابغة (زيد بن معاوية الذبياني)، تحقيق محمد نعيم بربر، ط1، سنة 1431هـ-2009م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص79. وانظر الكتاب، ج3، ص274. وانظر شرح المفصل، م2، ص210. وانظر الخصائص، ج2، ص132.

²³ - شرح المفصل، ج4، ص55. الكتاب، ج3، ص274.

²⁴ - الكتاب، ج3، ص274، 275.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

وقد أورد ابن جني في خصائصه أنه وكما جاءت الأعلام في الأعيان، فكذلك أيضا قد جاءت في المعاني، "فَسُبْحَانَ"، اسْمٌ عَلَّمَ لِمَعْنَى الْبِرَاءَةِ وَالتَّنْزِيهِ، بمنزلة عُثْمَانَ، ولم يُصْرَفَ لأنه اجتمع فيه التعريف والألف والنون، كما عُلِّلَ عَدَمُ صَرْفِ "بِرَّة" - في الشاهد المذكور آنفا - بكونه اسْمٌ عَلَّمَ لمعنى البرِّ، وذلك لوجود علّة التعريف والتأنيث، وعن مثله عُذِلَ فَجَارٍ؛ أي عن "فَجْرَةٍ" عَلَّمًا، ولهذا لم تُصْرَفَ²⁵.

وَرَدَّ سيبويه من قبلُ عَدَمَ صَرْفِ "فَعَالٍ" ومنه "فَجَارٍ" إلى علّة التعريف والتأنيث والعدل، وأنَّ "فَجَارٍ" مَصْدَرٌ²⁶، والرأي نفسه عند الرضوي²⁷.

والرأي الذي نخرج به أن ابن جني عدَّ "فَجَارٍ" من أعلام المعاني علمًا على المعنى "كَقَطَامٍ" و"حَدَامٍ" من أسماء أعلام النساء وهي معدولة عن فَاطِمَةَ وَحَادِمَةَ أعلام مرتحلة، وهي مأخوذة من القَطْمِ والحُدْمِ بمعنى القَطْعِ، وأمّا سيبويه فعدها مصدرًا معدولًا عن الفَجْرَةِ، وهو مبنيٌّ لعلّة التعريف والتأنيث وكذا قال الرضي.

وهو وَرَأُنٌ صيغة "فَعَالٍ" التي لا تطرد في الصفات نحو: حَلَاقٍ وَلَا فِي مصدر نحو فَجَارٍ²⁸. وهذا يعني أنّ "فَعَالٍ" تَقَلُّ في الصفات والمصادر وتكثر في غيرهما، وهذا الحكم يجري على كلام العرب أما في القرآن الكريم، فالأمر مختلف وسنقف على هذا بعد عرضنا لـ: "مَسَاسٍ" في شواذ القراءات.

الضرب الثالث: وهو أن تأتي "فَعَالٍ" «معدولة عن الصفة كقولهم في النداء يا فَسَاقِ، يَا خَبَاطِ، وَيَا لَكَاعِ»²⁹ وإنما عُذِلَ إلى فَعَالٍ لضرب من المبالغة في الفسقِ والعُدْرِ والحُبثِ كما عدلوا عن رَاحِمٍ إلى رَحْمَنٍ ... ولا يُستعمل في غير النداء غالبًا، وإنما اختص به

²⁵ - الخصائص، ج2، ص131، 132.

²⁶ - الكتاب، ج3، ص280.

²⁷ - شرح الرضي على الكافية، ج4، ص84.

²⁸ - الكتاب، ج3، ص280.

²⁹ - ابن يعيش، شرح المفصل، ج4، ص56.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

النداء لأنه يصير معرفة بالقصد... والدليل على تعريفه قولهم ... يا فَسَاقِ الخبيثة، فوصفهم إياه بالمعرفة دليل تعريفه... وربما جاء في غير النداء ضرورة في شعر³⁰ كما في قول الحطيئة³¹:

أَطَوَّفُ مَا أُطَوَّفْتُ ثُمَّ آوِي إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتُهُ لِكَاعِ

و"لِكَاعِ" صفة معدولة عن لِكََاعَاءِ، وقيل صفة منادى وحرف النداء محذوف ف: "فَعَالٍ" تكون معدولة عن الصفة للمبالغة، وتأتي في النداء غالباً، كما تأتي في غير النداء نحو: "خَلَّاقٍ" و"جَبَّازٍ" للمنيّة، وصَرَامٍ للحرب³².

الضرب الرابع: وهو ضرب من المترجل لأنه لم يكن قبل العَلَمِيَّةِ مَعْدُولًا، ثم نُقِلَ إلى العلمية، وهو مقطوع عن الوصفية، مثال ذلك: حَدَامٍ معدول عن حَاذِمَةٍ عِلْمًا، لأنَّ حَاذِمَةً في الحقيقة مُرْتَجِلَةٌ، وهو مأخوذٌ من الحَدَمِ و«الحَدْمُ: القَطْعُ الوَحْيِيُّ»³³، حَدَمُهُ يَحْدِمُهُ حَدَمًا: قَطَعَهُ قَطْعًا وَحْيًا، وقيل هو القَطْعُ ما كان... وحَدَامٍ: مِثْلُ قَطَامٍ، وحَدَامٍ اسم امرأة معدول عن حَاذِمَةٍ»³⁴.

وكذا قَطَامٍ معدول عن قَاطِمَةٍ، مأخوذ من القَطْمِ وهو العَضُّ، وقَطْعُ الشيءِ بِمَقْدَمِ القَمِّ. وذكر الصَّاعِقِيُّ في كتابه "مَا بَنَتْهُ العَرَبُ عَلَى فَعَالٍ" جملةً من أسماء النساء الأعلام³⁵ ك: "بَهَانٍ" في قول الشاعر:

³⁰ - المصدر نفسه.

³¹ - ديوان الحطيئة (جرول بن أوس العبسي)، رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني، شرح أبي سعيد السكري، تحقيق: درويش الجويدي، ط1، سنة 1429هـ-2007م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص213. وانظر الكتاب، ج،

³² - شرح المفصل، ج4، ص58، وانظر ما بنته العرب على فعال، ص44.

³³ - الوحي: السريع وزنا ومعنى. المصباح المنير، ص410.

³⁴ - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، طبعة جديدة، دار المعارف، القاهرة، ج11، ص813.

³⁵ - ما بنته العرب على فعال، ص12. وانظر المعري في رسالة الصاهل. وانظر السيوطي، المزهري، شرح محمد جاد المولى، 1408هـ-1987م، المكتبة العصرية، بيروت، ج2، ص131.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

أَلَا قَالَتْ بَهَانٍ³⁶ وَلَمْ تَأْتِي
وَالْكَذْبُ مِنْ سَجَاحٍ³⁷.
كَبُرَتْ وَلَا يَلِيْقُ بِكَ النَّعِيمُ

وَحُلِّصُ إِلَى الْقَوْلِ: إِنَّ الْأَضْرِبَ الْأَرْبَعَةَ جَمِيعَهَا مَبْنِيَةٌ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، وَاخْتِلَافِ فِي عِلَّةِ بِنَائِهَا، وَالَّذِي يَعْنِينَا مِنْ هَذِهِ الْأَضْرِبِ، الضَّرْبُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِمَا يَسْمَى الْمَصْدَرُ أَوْ اسْمُ الْمَصْدَرِ وَحُكْمُهُ الْبِنَاءُ لِمَشَابَهَتِهِ "فَعَالٍ" الْأَمْرِيَّ وَزُنًا وَمُبَالَغَةً، يَقُولُ الرُّضِيُّ: «وَالأَوَّلَى أَنْ يُقَالُ بُنِيَ قِسْمُ الْمَصَادِرِ وَالصِّفَاتِ لِمَشَابَهَتِهَا "لِفَعَالٍ" الْأَمْرِيَّ وَزُنًا وَمُبَالَغَةً بِخِلَافِ نَحْوِ: نَبَاتٍ وَكَلَامٍ وَقَضَاءٍ فَإِنَّهُ لَا مِبَالَغَةَ فِيهَا»³⁸.

يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ "فَعَالٍ" وَ"فَعَالٍ"؛ حَيْثُ يَسْتَفَادُ مِنَ الْأَوَّلَى مَعْنَى التَّوَكِيدِ وَالْمِبَالَغَةِ بِحُكْمِ مَشَابَهَتِهَا لِاسْمِ فِعْلِ الْأَمْرِ، وَهَذَا مَا لَا يَجِدُهُ فِي الْأُخْرَى أَي (فِي فَعَالٍ).

ثانياً : بِنَاءُ "فَعَالٍ" فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَوْقِفِ النَّحَاةِ مِنْهَا:

لَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى "فَعَالٍ" سِوَى مِثَالٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ طه/ك/97.

"وَلَا مِسَاسَ": قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ، وَهِيَ وَزَانٌ "فِعَالٍ" الَّتِي كَثِيرًا مَا تَشْتَرِكُ مَعَ فَعَالٍ فِي الدَّلَالَةِ، كَمَا نَلْحِظُ ذَلِكَ فِي "حِصَادِهِ"، وَحِصَادِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ، وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حِصَادِهِ﴾ الْأَنْعَامُ/م/141، فِي قِرَاءَةِ حِفْصٍ، أَمَّا قِرَاءَةُ وَرْشٍ عَنْ نَافِعٍ فَبِالْكَسْرِ "حِصَادِهِ"، وَهَتَانِ قِرَاءَتَانِ مُتَوَاتِرَتَانِ، مِنَ الْقِرَاءَاتِ السَّبَاعِيَّةِ، خِلَافَ "لَا مِسَاسٍ" بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ السَّيْنِ بِنَاءً فِي قِرَاءَةِ الْأَعْمَشِ³⁹ الَّتِي عُدَّتْ مِنْ شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ⁴⁰.

³⁶ - بهان: الضحافة.

³⁷ - سجاح: اسم المتنبة من تميم، ادعت النبوة، تزوجها مسيلمة الكذاب، وبعد مقتله أسلمت، وقيل حسن إسلامها. ما بنته العرب على فعال، ص17.

³⁸ - شرح الرضي على الكافية، ج3، ص112.

³⁹ - هو سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولاهم الكوفي الإمام الجليل، ولد سنة ستين، أخذ القراءة عرضاً على السادة القراء، كإبراهيم النخعي، وعاصم بن أبي النجود ومجاهد بن جبير،

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

وقد أجاز جمهور العلماء باتفاق، الاحتجاج بها في الدراسات اللغوية، والسؤال: ما فعل الْمَسَّسِ؟، وما مدلوله؟، وهل من فرق بين مَسَّهْ وَمَسَّهْ؟، وَمَسَّسِي؟
فعل الْمَسَّسِ، "مَسَّ بِمَسَّ" قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾
آل عمران/م/140.

وجاء في الحديث النبوي: «... مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»⁴¹.

قال ابن قتيبة: «ويقولون مَسِسْتُ والأَجْوُدُ مَسِسْتُ أَمْسُ»⁴².

فَمَسَّ فعل ثنائي مضاعف⁴³ يَجِيء مكسور العين في الماضي مفتوحها في المضارع وهو الأَجْوُدُ وبه نزل القرآن الكريم، كما يأتي "مَسَّ" مفتوح العين في الماضي مضمومها في المضارع أو مفتوحها شذوذا (إذا صح) وإلا فوجه واحد هو الضم.
ويرى الفراء أنه ما كان من الأفعال المضاعفة مفتوح العين في الماضي، قياس المعدي منه أن تضم عينه في المضارع، أما اللازم منه فتكسر عين مضارعه⁴⁴.

وأبي العالية الرياحي وكان الأعمش حافظا متبنا واسع العلم بالقرآن ورعا، وكان يسمى المعتدل لشدة إتقانه وضبطه وروى عنه أنه قال: «إن الله زين بالقرآن أقواما وإني ممن زينه الله بالقرآن» توفي سنة 148هـ. انظر محمود خليل الحصري، أحسن الأثر في تاريخ القراء الأربعة عشر، مطابع شركة الشرق بالعباسية، ص97، 98. وأحمد البيهقي، الاختلاف بين القراءات، ط1، سنة 1408هـ-1988م، دار الجليل، بيروت، ص112. وفي شذور الذهب نسبت إلى الحسن البصري وعلى أنها اسم الفعل بمنزلة الأمر إذ لم يقع في القرآن الكريم غيره يقول ابن هشام في شذور الذهب، ص111.

40 - القراءة الشاذة هي القراءة التي افتقرت لإحدى الشروط الثلاث.

41 - الإمام البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه)، دار إحياء التراث، م4، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ص230.

42 - ابن قتيبة (أبو مسلم ت276هـ)، أدب الكاتب، ص422.

43 - المضاعف أو المضعف أو التضعيف كما ورد عند سيويه «أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد، وذلك نحو رددت ووددت» الكتاب، ج3، ص529، 530.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

وَاسْتُنِيَتْ مِنْهُ أَلْفَطًا جَاءَتْ عَلَى خِلاَفِ الْأَصْلِ (القياس)⁴⁵ كَمَنَّ يَمُنُّ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْتِرُ﴾ المدثر/6.

كما جاءت ألفاظ بالوجهين "كَمَنَّ" وفي هذا يقول ابن السكيت حكاية عن أبي
عبيدة: «مَسَسْتُ أَمْسُ لُغَةً»، ولكن الأفضح الكسر في مَسَسْتُ أَمْسُ»⁴⁶.

وجاء في الصحاح «وحكى أبو عبيدة مَسَسْتُ الشَّيْءَ بِالْفَتْحِ أَمْسُهُ بِالضَّمِّ»⁴⁷.
هذا موافق لرأي الفراء وغيره، ومخالف لما ذكر ابن السكيت، وإن صح نقل هذا
الأخير فإننا نعدّ الفتح لغة.

44- انظر ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط4، 1399هـ-1979م، دار
الآفاق، ج1، ص174.

45- يقول ابن مالك:

وَبَتَّ فَطْعًا وَتَمَّ وَاضْمَمَنَّ مَعَ الِ لُزُومٍ فِي امْرُؤٍ بِهِ وَجَلَّ مِثْلُ جَلَا
هَبَّتْ وَذَرَّتْ وَأَخَّ كَرَّ هَمَّ بِهِ وَعَمَّ زَمَّ وَسَخَّ مَلَّ أَي دَمَلَا

وقد بلغت الأفعال التي ذكر في أبياته ثمانية وعشرين فعلا.

انظر بحرق (جمال الدين محمد بن عمر)، فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال، ط1،
1427هـ-2006م، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ص41-42. وقد علق بحرق على أن
قول "ابن مالك" يوهم الحصر والحقيقة غير ذلك؟!

والرأي أن الاستقراء الشامل لهذه الأفعال في المعجمات، ومعجمات الأبنية خصوصا، وكتب المثلثات،
وكتب الغريب عموما، يحتاج إلى جهد جماعي، حتى يتسنى لنا حصر الأفعال المضاعفة المضمومة العين في
المضارع اللازمة منها والمتعدية، والتفريق بينها بقرائن معنوية أو حسية.

46- ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ت244هـ)، إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد
شاکر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ج2، ص211. وانظر ثعلب (أبو العباس ت231هـ)،
الفصيح، تحقيق د: صبيح التميمي، دار الشهاب، ص50.

47- الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي ت393هـ)، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد
عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1990م، دار العلم للملايين، م3، باب
السين، فصل الميم، ص978.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

ويقول اللسان: «مَسِسْتُهُ بالكسر أَمْسُهُ مَسًّا وَمَسِيَسًا، لَمَسْتُهُ، هذه اللغة الفصيحة، وَمَسَسْتُهُ بالفتح أَمْسُهُ بالضم لغة... وَأَمَسَسْتُهُ الشيءَ فَمَسَّهُ، وَالْمَسِيَسُ وَالْمَسُّ، وكذلك الْمَسِيَسَى مثل الْحِصِيَصَى ... ويقال: مَسِنْتُ الشيءَ أَمْسُهُ مَسًّا إذا لَمَسْتُهُ بيديك ثم استُعبر للأخذ والضرب لأنها باليد... وَمَسَّ الشيءُ الشيءَ مُمَاسَةً وَمَسَّاسًا لَقِيَهُ بذاته... وَرَجَمَ مَاسَةً وَمَسَّاسَةً؛ أي قرابة قريبة... ولا مَسَّاسَ أي لا تَمَسُّني ولا مَسَّاسٍ أي لا مُمَاسَةً، وقد فُرئَ بهما... وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مَسَّاسَ﴾، فُرئَ لا مَسَّاسَ بفتح السين... قال: ويجوز لا مَسَّاسٍ مبني على الكسر... أما قول العرب: لا مَسَّاسٍ، مثل قَطَامٍ فَإِنَّمَا بُني على الكسر لأنه معدول عن المصدر وهو الْمَسُّ...»⁴⁸.

فمس من باب علم، وهي اللغة الفصحى، ومصدره الْمَسُّ وَالْمَسِيَسُ، وَالْمَسِيَسَى، ومس من باب نَصَرَ لغة، كما مَسِنْتُ بالتخفيف من الشواذ⁴⁹ وَمَاسَهُ يُمَاسُهُ، مَسَّاسًا وَمُمَاسَةً بمعنى الْمَسِّ، وَاللَّمَسِ، وَالْجَمَسِ باليد⁵⁰.

وذكر ابن القطاع (ت515هـ) في باب المضاعف «مَسَّ الشيءَ يَمَسُّهُ مَسًّا، لَمَسَهُ بيده، وحكى أبو عبيدة مَسَسْتُ أَمْسُ...»⁵¹.

فَمَاسَةً بمعنى مَسَّهُ كما مَسَّاسًا وَمُمَاسَةً بمعنى: الْمَسِّ وَاللَّمَسِ «وَالْمَسُّ كَاللَّمَسِ... وَالْمَسُّ يقال يكون معه إدراك بحاسَّة اللَّمَسِ وَكُتِّي به عن النكاح فقليل: مَسَّهَا وَمَاسَّهَا...»

⁴⁸ - ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي والأنصاري الفروجي المصري)، لسان العرب، ج47، باب الميم، مادة مسس، ص4201.

⁴⁹ - الكتاب، ج4، ص422.

⁵⁰ - الفيروزبادي (محمد الدين محمد بن يعقوب)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ص428. غريب القرآن، ص281. وانظر: بطرس البستاني، ومحيط المحيط، باب الميم، ص850.

⁵¹ - ابن القطاع، كتاب الأفعال، ص467. وانظر بصائر ذوي التمييز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص498.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

والمَسُّ يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾⁵² «⁵³.

والملاحظ أنّ الاختلافَ بَيِّنٌ، بَيَّنَّ ما حكاه ابنُ السكيتِ عَن أَبِي عُبيدَةَ، وما حكاه ابنُ القَطَّاعِ وصاحب الصَّحاحِ، مع أنّ المحكيَّ عنه واحدٌ وهو أبو عُبيدَةَ. وقد رجعتُ إلى كتاب أبي عُبيدَةَ ووقفْتُ على صحبة ما ذهب إليه صاحبُ الأفعال وصاحب الصَّحاحِ.

وأقول: فَعَلَى صِحَّةٍ ما جاء به ابن السكيت، فإن مَسَّ المفتوح العين المتعدي - وهو لغة في مَسَسَ - قد يأتي مفتوح العين في المضارع، وهذا شاذ بالنسبة للقياس الذي يُعَدُّ الضم أصلاً في المتعدي، أو على قولهم يَأْتِي بِالْوَجْهِينِ في المضارع، وقد ذكر صاحب اللامية أمثلة للأفعال المضاعفة الواقعة التي جاءت بالوجهين، غير أنه لم يأت على ذكر "مَسَّ"، وإن كان لهذا نظير كَعَضَّ يَعْضُّ.

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن مالك «شَجَّ رَأْسَهُ يَشْجُهُ وَيَشْجُهُ، وَأَضَّهُ إِلَى كَذَا يُؤْضُهُ وَيُضُّهُ أَجْأَهُ، وَالْإِضْاضُ بِالْكَسْرِ الْمَلْجَأُ»⁵⁴. وذكر الجوهري في الصحاح أنّ الذي سَهَّلَ مجيء الوجهين في هذه الأفعال لزومها مرّةً وتعديها أخرى⁵⁵.

وإجمالاً أقول؛ إنّ المعجمات التي عُذْتُ إليها أوردت لفعل المَسَّ في الماضي صورتين: إحداهما: بكسر عين الماضي وفتحها في المضارع لا غير، وهي اللغة الفصيحة في هذه المفردة (باب فَرَحَ).

⁵² - سورة البقرة/م/80.

⁵³ - الراغب الأصفهاني (أبو القاسم حسين بن محمد ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، راجعه وائل أحمد عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ص470.

⁵⁴ - بحرق (جمال الدين محمد بن عمر)، فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المشهور بالشرح الكبير، ط1، 1427هـ-2006م، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ص40.

⁵⁵ - المرجع نفسه.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

وأخراهما: فتح عين الماضي وضمها في المضارع من باب "نَصَرَ"، وهذا قياس المعدى من المضاعف المفتوح العين، وفتح عين مضارعه لغة⁵⁶ إن صَحَّ قول ابن السكيت، وأرى أنّ هذا التنوع اللهجيّ على مستوى بنية الفعل "مَسَّ" لم يعقبه تباينٌ على مستوى المعنى، إذ لا نجد فرقا بين "مَسَسَ يَمَسُّ، ومَسِسَ يَمَسُّ"، سوى أنّ مَسِسَ يَمَسُّ أفصح وأجود من مَسَسَ، وبه نزل القرآن الكريم.

وأن مَسَّ الثلاثي وماسَّه قد وردا بمعنى واحد، إلا أنّ ماسَّه أبلغ من مَسَّ؛ لأنّ صيغة فاعل تتجاوز الذات إلى العَبرِ، والمصدر من ماسَّه على مَسَّسٍ وهو معرب منصرف وكذلك مُماسَّه من باب قاتل - يقاتل - قتالا، ومُماتَّلة.

«وقول العرب: لا مَسَّسٍ، مثل: قَطَامٍ؛ أي لا تَمَسُّ، وقرأ أبو عمرو⁵⁷ في الشواذ وأبو حيوة⁵⁸: «أن تقول: "لا مَسَّسٍ". وقد يقال: مَسَّسٍ في الأمر كَدَرَاكٍ وَتَرَاكٍ... وقوله تعالى: ﴿لَا مِسَّاسٌ﴾ بكسر الميم أي لا أَمَسُّ ولا أُمَسُّ»⁵⁹.

⁵⁶ - والمعني أن "مس" المتعدي المفتوح العين، أتى بالوجهين في المضارع، بضم العين أصالة وبالفتح لغة من باب عضض - يعضض، عض - يعض خلاف الكسر؟! وهذا تحبه - الذي كسرت عين مضارعه خلافا للضم ومر - الذي ضمت عين مضارعه خلافا للكسر. وليس بعيدا أن تكون هناك نظائر لهذه الأفعال، ولذا فهذا النوع من الأفعال [المضاعفة] يحتاج إلى دراسة استقرائية في المعجمات حتى يتسنى لنا حصر الأفعال ومن ثم ضبط القاعدة.

⁵⁷ - أبو عمرو بن العلاء (زيان بن العلاء التميمي المازني البصري ولد سنة 68هـ وت 154هـ) مقرئ البصرة: إمام أهل عصره في اللغة، رأس القراءة والتابعون أحياء، هو الصدوق والثقة والزهد؛ وهو أحد القراء السبعة، قرأ على الحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعاصم بن أبي النجود... وروى عنه كثير منهم أبي زيد الأنصاري.

⁵⁸ - أبو حيوة ت 203هـ (هو شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي) مقرئ الشام، وصاحب قراءة شاذة، وهو من الثقات، له اختيار في القراءة، روى القراءة عن أبي البرهسم عمران بن عثمان، روى عن الكسائي قراءته. انظر الاختلاف بين القراءات، ص 428.

⁵⁹ - الفيروز ابادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج 4، ص 498، 499.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

"فَالْمَسَّاسُ": مصدر الفعل مَسَّهْ وقد سبق في الآية بـ"لا" النافية للجنس على معنى
أَلَّا يَمَسَّ وَلَا يُمَسَّ ومعناه المباعدة، وعدم المخالطة ولا المقاربة وهو المعنى المستعار له،
والأصل ما سبق ذكره من المعاني (الجسَّ واللمس باليد) غير أنَّ المسَّ أعمُّ من اللَّمسِ،
و"مَسَّاسٍ": بفتح الميم، على أنه مصدر علم "كحَمَادٍ" و"بَدَادٍ"، و"فَجَارٍ" وما شاكلها،
فهو مَبْنِيٌّ على لغة أهل الحجاز مطلقاً معدولاً عن المصدر، ومن قال: كدراك
فهو معدول عن الأمر. ويرجع اختلاف النحاة في تفسير "لَا مَسَّاسٍ" بين أن تكون اسم
فعل أمر أو اسم مصدر عَلَمًا على المصدر إلى طبيعة "فَعَالٍ" الاسمية⁶⁰. فهي تجيء علما
كما تجيء اسم فعل أمر، أو صفة أو مصدرا، ولهذا نجد من النحاة من عدَّ "لَا مَسَّاسٍ"
مَصْدَرًا كسيبويه والزمخشري، ورضي الدين الاسترأبادي ت686هـ، ومن ذهب مذهبهم.
ومنهم من عدَّه اسما عَلَمًا، كابن جني ومن سلك مسلكه.

ومعنى "لَا مَسَّاسٍ": لا مخالطة، ولا مماسة؛ حيث يقول ابن قتيبة⁶¹: لا مَسَّاسٍ: لا
تخالط أحدا، ويعني لا مخالطة، ومن فتح الميم جعلها اسما منه، فلم يدخلها نصب ولا رفع،
وكسر آخرها بغير تنوين، كقول الشاعر:

تَمِيمٌ كَرَهَطِ السَّامِرِيِّ وَقَوْلُهُ أَلَا لَا يُرِيدُ السَّامِرِيُّ مَسَّاسٍ⁶².

جُرَّ بَعَيْرٍ تنوين، وهو في موضع نصب؛ لأنَّه أُجْرِي مجرى فَطَامٍ وَحَدَّامٍ وَنَزَّالٍ، إذا
فتحوأ أوله⁶³، وقرأ أبو حيوَةَ "مَسَّاسٍ" بالتنوين⁶⁴. «ويجوز "لَا مَسَّاسٍ" بفتح الميم وكسر

⁶⁰ - عرفت الأسماء - في عربيتنا - بتنوعها وكثرة أبنيتها، وتداخلها وذلك باشتراكها في البناء الواحد
(الصيغة) وتباينها في الدلالة، إذ كثيرا ما تؤدي معان مختلفة بصيغة واحدة، أو العكس كأن يؤد إلى المعنى
الواحد بأبنية متباينة من ذلك: فعاله، وفعاله، وفَعَالٍ وفُعَالٍ وفُعَالٍ وفَعِيلٍ - وهكذا.

⁶¹ - ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم (213-276هـ)، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد: أحمد
سقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص281.

⁶² - البيت من شواهد ابن عطية، المخرر الوجيز، ج4، ص62. وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،
م6، ص219، و220. والجوهري في الصحاح، ج3، ص978.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

السين الآخرة على وزن دراك وتراك»⁶⁵، فهو مبني على الكسر، وهو نفي، وقولك "مَسَّاسٍ"؛ أي مَسَّاسِ الْقَوْمِ تَأْمُرُ بِذَلِكَ، فإذا قلت: لا مَسَّاسٍ فهو نفي ذلك⁶⁶، وبنيت "مَسَّاسٍ" على الكسْرِ، وأصلها الفتح لِمَكَانِ الْأَلْفِ وَلَكِنْ مَسَّاسٍ وَدَرَاكِ مُؤَنَّثٍ، فاخترت الكسر لالتقاء الساكنين، لأنك تقول: في المؤنث فعلت يا امرأة...»⁶⁷.

ف"لَا مَسَّاسٍ" عند الزجاج اسمُ فعلٍ أمرٍ منفي مبني على الكسر للتأنيث، أمَّا الزمخشري فيرى بعلميته؛ لأنَّه معدول عن المرّة من المَسِّ؛ حيث يقول: «وقرئ لا مَسَّاسٍ بوزن فَجَارٍ. ونحوه قولهم في الطِّبَاءِ إِذَا وَرَدَتِ الْمَاءُ فَلَا عَبَابٍ، وَإِنْ فَقَدْتُهُ فَلَا أَبَابٍ: وهي أعلام لِلْمَسَّةِ، وَالْعَبَّةِ وَالْأَبَّةِ، وهي المرّة من الأَبِّ وهو الطلب»⁶⁸.

⁶³ - أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط1، سنة 1427هـ-2006م، دار الكتب العلمية، ص170.

⁶⁴ - ذكر هذه القراءة ابن عطية في المحرر الوجيز، ج11، ص102. وانظر أبا حيان في البحر المحيظ، ج6، ص275. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص219، 220.

⁶⁵ - جاء في هامش مفردات معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ص305: «فتكون علما مبنيًا على الكسر مثل حذام، كما ابن جني عدها علما (اسم مصدر) للمسه كفجار من الفجرة».

⁶⁶ - والرأي: أن النفي والنهي لا يدخلان على فعل الأمر، ومن ثم فهما لا يدخلان على اسم فعل الأمر الذي هو بمعنى الأمر. فأنت تحذر من الخطر فتقول: حذار النار مثلما تقول: احذر النار مع فرق المبالغة بين التحذيرين وتقول: احذر النار ولا تقول: لا احذر النار وأنت تقصد النهي أو النفي (إذ لا تجتمع علامتان)، والأمر نفسه ينطبق على اسم فعل الأمر الذي هو بمعنى الأمر. وإن جوز ذلك ابن جني على الحكاية واستدل بقول الشاعر: لا همام...

⁶⁷ - الزجاج (أبو إسحاق بن إبراهيم بن السري ت311هـ)، مفردات معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، سنة الطبع 1424هـ-2004م، دار الحديث، القاهرة، ج3، ص305.

⁶⁸ - الزمخشري (جار الله محمود بن عمر ت528هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج3، ص85. وانظر المزهر في علوم اللغة، ج1، ص217. وانظر البيضاوي (ابن عمر بن محمد الشيرازي)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، سنة 2001، بيروت، لبنان، دار صادر، م2، ص653. وانظر الرازي (محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر ت604)، مفاتيح الغيب، ط1، 1401هـ-1981م، دار الفكر، بيروت، لبنان، م11، ج22، ص112.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

ومعناه أنّ "لا مَسَّاسٍ" ورَّان فَجَّارٍ، وهو عَلمٌ⁶⁹ مختوم بالراء، وهذا في لغة تميم يُبنى على الكسر، وعند أهل الحجاز يُبنى مطلقاً كل ما جاء بوزن فَجَّارٍ علماً سواء خُتم بالراء أم بغيرها، ومنه "لا مَسَّاسٍ" علمٌ لِلْمَسَّةِ وهي المرة من الْمَسِّ؛ يعني أنّه معدول عن مصدر المرة، وهو نوع من المصادر تُعرف باسم المصدر العَلم، وهو لا يَعْمَلُ مثل: "لا مَسَّاسٍ". يقول ابن عطية في قوله تعالى: ﴿لَا مَسَّاسِ﴾؛ أي لا مماسة ولا إذابة... وقرأ أبو حَيَّوَةَ "لا مَسَّاسٍ" بفتح الميم وكسر السين، وهو معدول عن المصدر كَفَجَّارٍ ونحوه، وشبَّهه أبو عبيدة وغيره بَنَزَالٍ ودَرَكَ ونحوه، والشبهه صحيح من حيث هي معدولات وفارقه في أنّ هذه عدلت عن الأمر، ومَسَّاسٍ، وفَجَّارٍ عُدِلت عن المصدر⁷⁰.

يُفهم من كلامه أنّ اسم المصدر "مَسَّاسٍ" كَنَزَالٍ ودَرَكَ من حيث هي معدولات غير أن "مَسَّاسٍ" عُدل عن المصدر "الْمَسِّ"، ومثله فَجَّارٍ عُدل عن الفَجْرَةِ. ويقول القرطبي: «وأما قول العرب: "لا مَسَّاسٍ"، مثل: قَطَامٍ، فإنَّما بُني على الكسر؛ لأنَّه معدول عن المصدر وهو الْمَسِّ، وقرأ أبو حَيَّوَةَ: مَسَّاسٍ»⁷¹.

[لا مساس بوزن فجار وهو اسم علم للمرة الواحدة من المس]. وانظر الطي (شرف الدين الحسين بن عبد الله ت743هـ)، فتوح الغيب وهو حاشية الطي على الكشاف، تحقيق: عمر حسن القيام، ط1، سنة 1434هـ-2013م، ج10، ص

⁶⁹ - الأعلام نوعان: أعلام ذوات، وأعلام معاني (المصادر: أي علم على المصدر) وهي متباينة منها ما جاء على "فعال" كفجار ومساس، ومنها ما يجيء خلاف ذلك ك"سبحان" علما "للتسييح" عند من عده علما (فهو مصدر عند بعضهم) ويطلق على هذا النوع من الأسماء مصطلح اسم المصدر: ويراد به: المصدر الميمي تجوزا، واسم المصدر بمعنى المصدر كالكلام بمعنى التكليم وهذان يعملان باتفاق، وقسم ثالث هو أسماء المصادر الأعلام وهي لا تعمل. ومنها فعال.

⁷⁰ - ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب ت546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، سنة 1422هـ-2001م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ص61 و62. وانظر الجواهر الحسان، ج4، ص66.

⁷¹ - الجامع لأحكام القرآن، م6، ص219، 220. وقد ذكر ابن عطية القراءة لا مساس بالتنوين في ج11، ص102. (وهذا يعني اشتراك فعال، وفعال في أداء المعنى الواحد). وانظر أبي حيان، البحر المحيط، ج6، ص275.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

فَ "مَسَّاسٍ" عند هؤلاء اسم مصدر معدول عن المصدر جاء بوزنِ فَعَالٍ الْمَبْنِيِّ. ويرى ابن جني خلاف ذلك حيث يقول: «لكن في قراءة من قرأ "لا مَسَّاسٍ" نظراً، وذلك أنَّ مَسَّاسٍ هذه كَنَزَالٍ وَدَرَاكٍ وَحَدَّارٍ، وليس هذا الضرب من الكلام - أعني ما سمي به الفعل - مما تدخل "لا" النافية للنكرة عليه...»

فَ "لا" إِذَا فِي قَوْلِهِ "لا مَسَّاسٍ" نفي للفعل، كقولك: لا أَمْسُكُ ولا أَقْرُبُ منك، فكأنَّه حكاية قول القائل مَسَّاسٍ كَدَرَاكٍ وَنَزَالٍ: فقال: لا مَسَّاسٍ أَي: لا أقول: مَسَّاسٍ... ولا بد أن تكون الحكاية مقدرةً، ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول: «اضْرِبْ فتنفي "بلا" لفظ الأمر، لتنافي اجتماع الأمر والنهي، فالحكاية إِذَا مقدرةً معتقدةً»⁷².

وقال العُكْبَرِيُّ (ت 616هـ) «ويُقرأ بفتح الميم وكسر السين وهو اسم للفعل؛ أي: لا يَمَسُّنِي وقيل: هو اسم للخبر؛ أي لا يكون بيننا مُمَاسَّةً»⁷³.

يفهم من قول العُكْبَرِيِّ أنَّ "لا مَسَّاسٍ" تحتل أن تكون اسماً للفعل، وهو الرأي الذي ذهب إليه ابن جني وابن هشام وغيرهما، كما يمكن أن تكون اسماً للخبر⁷⁴؛ أي اسم مصدر كما ذهب إلى ذلك سيبويه والزجاج وغيرهما.

ويقول صاحب معجم القراءات: «... وقرأ الحسن⁷⁵ وأبو حنيفة⁷⁶ وابن أبي عَبَّلة⁷⁷، وَقَعْنَب⁷⁸، وأبو عَمْرٍو "لا مَسَّاسٍ"⁷⁹... وهو اسم للفعل؛ أي لا تمسني، وقيل:

⁷² - ابن جني (أبو الفتح عثمان ت 292هـ)، المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط2، ج2، ص56، و57. وانظر أبي البقاء العكبري (616هـ-1219م)، إعراب القراءات الشواذ، دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، ط1، 1417هـ-1926م، ج2، ص89.

⁷³ - العكبري (عبد الله بن الحسين 616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق سعد كريم الفقي، ط1، 1422هـ-2001م، دار اليقين، ج2، ص569.

⁷⁴ - اسماً للخبر: الخبر: مصطلح على المصدر وهو من مصطلحات الزجاج.

⁷⁵ - الحسن البصري (أبو سعيد بن يسار ت 110هـ)، إمام زمانه علماً وعملاً، قال عنه الشافعي لو أشاء أقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت لفصاحته. انظر: الإمام أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

هو اسم للخبر أي لا يكون بيننا مماسة، وهو هنا مبني على الكسر، وقال الفراء⁸⁰ وهي لغة فاشية⁸¹.

وقد عقد سيبويه باباً أسماه "هذا باب ما جاء معدولاً عن حده من المؤنث" وفيه ذكر أنّ هذا المعدول قد يأتي اسماً للفعل، واسماً للوصف المنادى المؤنث وقد يكون اسماً للوصف غير المنادى، وللمصدر، ولا يكون إلا مؤنثاً لمؤنث، ومن الألفاظ التي جاء بها في هذا الباب وقال عنها إنّها مصدر كلمة "مَسَّاسٍ"؛ حيث قال: «والعرب تقول أنت لا مَسَّاسٍ ومعناه لا مَمْسُني ولا مَمْسُك... فهذا معدول عن مؤنث، وإن كانوا لم يستعملوا في

زنجان، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، ط5، 1422هـ-2001م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص70.

⁷⁶ - انظر هامش ص17 من المقال.

⁷⁷ - هو (شمر بن يقظان بن المرتحل ت151هـ)، ثقة، تابعي له اختيار في القراءات وفي صحة إسنادها نظر. انظر الاختلاف بين القراءات، ص416.

⁷⁸ - هو قعنب بن أبي قعنب، أبو الشمال العدوي البصري، له اختيار في القراءة وشذبه عن العامة روى عنه أبو زيد سعيد بن أوس. انظر أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات، ط1، 1408هـ-1988م، دار الخليل، بيروت، ص441. نقلاً عن غاية النهاية. وانظر الإمام القرطبي، في الجامع لأحكام القرآن، ط الرسالة، ج1، ص80. وقال الإمام الذهبي في المغني ط الأنصاري، ج2، ص472... له حروف شاذة في القراءات واسمة قعنب بن هلال.

⁷⁹ - انظر البحر المحيط، ج6، ص375. والعكبري، التبيان، ج2، ص902. وانظر الزجاج، معاني القرآن، ج3، ص364. ومعاني القرآن (الفراء)، ج2، ص190. والمحرر الوجيز، ج4، ص62. وج10، ص84. والجامع لأحكام القرآن، ج11، ص241. ومجمع البيان، ج16، ص138. وإعراب القرآن للنحاس، ج2، ص357.

⁸⁰ - الفراء، معاني القرآن، ج2، ص190.

⁸¹ - عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1422هـ-2002م، ج5، ص490.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

كلامهم ذلك المؤنث الذي عُذِلَ عنه بَدَادٍ وَأَخَوَاتِهَا...»⁸²؛ أي لم يستعملوا "البَدَّة" والقول نفسه عند ابن السراج⁸³، أمّا ابن هشام فظاهر كلامه أن "لا مَسَاسٍ" اسم فعل أمر، ودليله على ذلك قولهم للعائر إذا دعوا عليه بأن لا يرتفع "لا لَعَا" ثمّ عرض لرأي الفراء في معانيه، وهو أنّ من العرب من يذهب "بلا مَسَاسٍ" مذهب دراك و"نزال"، وأنّه جاء في كتاب "ليس في كلام العرب" لابن خالويه أن "لا مَسَاسٍ" مثل: دَرَاكٍ و"نَزَالٍ" وهذا من غرائب اللغة، وحمله الجوهري والزخشي على أنّه من باب قَطَامٍ، وأنّه معدول عن المصدر⁸⁴.

"ولا مَسَاسٍ" في نظر ابن هشام اسم فعل أمر، وقد استدل على ما ذهب إليه بقَوْلِي الفراء، وابن خالويه اللذان ذهبا باللفظ مذهب "دَرَاكٍ"، و"نزال".

وقد عدت إلى معاني القرآن للفراء فلم أقف على النص كما أورده ابن هشام، وإمّا قوله «أن لا مساس لغة فاشية وهي مثل نزال ونظار من الانتظار»⁸⁵.

فدراك لم تكن من أمثله كما لم أحد ما عزاه ابن هشام لابن خالويه، في كتاب ليس في كلام العرب!!

أقول: وقد عدّ ابن هشام "لا مَسَاسٍ" اسم فعل أمر، وهو الرأي الذي ذهب إليه ابن جني، والصاغاني وغيرهما من النحاة.

أمّا الزخشي فعّد "لا مَسَاسٍ" اسماً عَلَمًا معدولاً عن الْمَسَّةِ، وكذا الجوهري، في حين اعتبره ابن عطية اسم مصدر معدولاً عن المصدر (الْمَسَّ) "فَمَسَاسٍ" بفتح الميم اسم

⁸² - الكتاب، ج3، ص275. وبَدَادٍ من بَدَدَةٌ - يَبْدُدُهُ - بَدَّأ: إذا فرقه من باب قتل، والتثقيل مبالغة وتكثير أي بَدَدُهُ - يُبَدِّدُهُ - إذا فَرَّقَهُ. انظر المصباح المنير، ص29.

⁸³ - ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل ت316هـ)، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ج2، ص89، 90.

⁸⁴ - ابن هشام (أبو عبد الله جمال الدين الأنصاري ت761هـ) شذور الذهب، حققه: ح. الفاحوري، دار الجليل، بيروت، ص111.

⁸⁵ - معاني القرآن، ج2، ص190.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

يدل على المصدر، ويجري عليه من الأحكام ما يجري على بعض الأعلام من البناء أو المنع من الصرف نحو: بَرَّةٌ غير مصروف بمعنى المَبْرَّةِ، وَفَجَارٍ مبنيا على الكسر بمعنى الفجور⁸⁶.
وقد سُبِقَ "مَسَّاسٍ" في قراءة الأعمش - بفتح الميم وكسر السين - "بلا" النافية للجنس. والسؤال: هل تدخل "لا" النافية للجنس على الاسم العلم المصدر المعرفة المؤنث أم لا؟

أقول: النحويون البصريون والكوفيون عدا الكسائي والفراء لا يجيزون دخول "لا" النافية للجنس على المعرفة، بل يكون دخولها على النكرات «"فلا" لا تعمل إلا في النكرة من قِيلَ أَنَّمَا جَوَابٌ، فيما زعم الخليل رحمه الله في قولك: هل مِنْ عَبْدٍ أَوْ جَارِيَةٍ؟ فصار الجوابُ نكرةً كما أنَّه لا يقع في هذه المسألة إلا نكرة»⁸⁷، ويقول أبو حيان في مصحوب "لا": «وأما إذا كان معرفة فالإجماع من البصريين على أنَّ "لا" لا تعمل فيه، وأجاز الكوفيون بناء الاسم العلم سواء أكان مفردا... أو مضافا كنية... فإن كان مضافا إلى الله والرحمن... أجازوا أن تعمل "لا" فيه... ومن كلامهم "قضية ولا أبا حسن لها"، إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده"، وهذا ونحوه عند البصريين مؤول بالنكرة... وأما قولهم: "لا مَسَّاسٍ"... فقال -نقلا عن أبي علي الفارسي-: ليس التعريف لها بتمكن، ألا ترى أنك تقول في كل موضع "لا مَسَّاسٍ"، ولما لم تختص، وشاع استعمالها جرت مجرى النكرة فساغ دخولها عليها»⁸⁸.

⁸⁶ - صلاح الدين الزعبلوي، مع النحاة وما غاصوا عليه من دقائق اللغة، وأسرارها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ص274.

⁸⁷ - الكتاب، ج2، ص275.

⁸⁸ - أبو حيان الأندلسي (546هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وتعليق: مصطفى أحمد النماس، ط1، سنة 1408هـ-1987م، مطبعة المدني، مصر، ج2، ص170، 171. [شروط تختم عملها عمل "إن" ألا تتكرر... وأن يقصد بها خلوص النفي العام. فإن لم يقصد لا تعمل...» ص164.
وانظر: ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي ت672هـ)، شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط1، سنة 1410هـ-1990م، دار هجر، ج2، ص52 و62.

ما جاء على "فَعَالٍ" في القرآن الكريم ----- أ. عزيزة سلولة

يفهم من كلامهم إنكارهم بجيء اسم "لا" النافية للجنس معرفة، وما جاء منه معرفة أُوَّلَ بنكرة، وقد علق "سلمان محمد سلمان" على تعليقات النحاة في إنكارهم لمصحوب "لا" المعرفة، وَلِيَّهِمْ لأعناق النصوص الصحيحة بتأويلاتهم الْمُفْتَعَلَةَ، علق قائلاً: «وكان الأجدر أن تتسع قواعد النحاة للنصوص الصحيحة، فيقال مثلاً: إنّ "لا" تدخل على النكرات كثيراً وعلى المعارف قليلاً»⁸⁹.

والنتيجة التي نخرج بها من خلال هذا البحث هي:

* أنه لا شيء من أسماء أعلام المصادر، ولا أسماء أفعال الأمر بوزن "فَعَالٍ" في القرآن الكريم، وإنما وردت به قراءة الأعمش الشاذة، لقوله تعالى: ﴿لَا مَسَاسَ﴾. وقد اتفق جمهور العلماء على جواز الاحتجاج بها في الدراسات اللغوية.

* احتمال "فَعَالٍ" أن يكون اسم فعل أمر، وهذا رأي ابن جني وابن هشام وغيرهما، كما يحتمل أن يكون اسم مصدر علماً معدولاً عن المَرة، وهذا الرأي ذهب إليه سيبويه والزمخشري وابن الحاجب وغيرهم، وهذا الاحتمال يقودنا إلى فائدة وهي:

* جواز دخول "لا" النافية للجنس على الاسم المعرفة؛ لأنّ "لا مَسَاسٍ" اسم معدول عن المَسَنَةِ معرفة لمؤنث، وإن قَلَّ وُرُودُهَا في كلام العرب.

* دلالة الصيغة التي عُذِلَ إليها على معنى إضافي، وهو المبالغة والتوكيد زيادة على المعنى الأصلي، وهو الدلالة على الحدث.

* من معاني "فَعَالٍ" المعدولة عن المصدر "المُبَاعَدَةُ" و"التَّرْكُ". وهو المعنى الذي أفادته كلمة "لا مَسَاسٍ".

* اشتراك فَعَالٍ ، وَفِعَالٍ وَفَعَالٍ في أداء معنى المباعدة .

89- سلمان محمد سلمان القضاة، القضايا النحوية في مخطوطات وكتب إعراب الحديث النبوي، سنة

1426هـ-2006م، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ص121.